القلب المكانيّ أنواع وأسباب Metathesis

م.م. دنيا عباس محمد سامي

وزارة التربية

الملخص: سَعَت الباحثة إلى دراسةِ القلب المكانيّ في موضوعِ الميزان الصّرفيّ ،مُعتمدةً على دوره في نظام اللّغة العربيّة .وتحليل التّغيّرات الّتي تلحقُ بالكلامِ والكشفِ عن تأثيرات صوّر القلب على المفردات،وتتبُّعِ أنماطه ،نافضةً الغُبار بالعرضِ والتّحليلِ عن أسباب وقوعِ القلبِ ،محدّدةً وسائل القلب المكانيّ.وذلك من أجلِ تفعيلِ دوره وإيصالِ أفكاره إلى المتلقي .كلِماتٌ مِفتاحيّة : القلبُ المكانيّ– الميزان الصّرفيّ– أنماط القلب– التغيّيرات– صوّر القلب.

Abstract: The researcher sought to study the spatial heart in the subject of the morphological balance, relying on its role in the Arabic language system, analyzing the changes that occur in speech and revealing the effects of heart images on vocabulary, tracing its patterns, dusting off the dust by presenting the means of the heart and identifying the causes of that place. In order to activate his role and identifying the causes of that place. In order to activate his role and communicate his ideas to the recipient.

المقدمة .

لقد أثارَت قضيّة القلب المكانيّ الكثير من الجدل والنّقاش عند الباحثين العَرب وغيرهم ،وبالأخصّ الصرفيّون فقد تعرّضوا لموضوع القلب ،فقد تعرّضوا لموضوعِ القلب المكانيّ بمناسبةِ عرضهم لموضوعِ الميزان الصّرفيّ ،وعلى إعتبار ظاهرة القلب ظاهرة لغويّة ظاهرة لغويّة واضحة لا يصحّ إنكارها؛حظيَّت بالعديد من الدّراسات وشغَلَت الكثيرَ من الباحثين ،كيف لا وباتت ظاهرة مُلاحظة كلّ يومٍ بلغة النّشء،فالأطفالُ الّذين لا يستطيعونَ نطقَ الألفاظ الكثيرة الّتي يسمعونها لا إراديًّا يقلبون بعضَ حروفها مكان بعضها الآخر ،فدُرِجت في لغة العوام.وقد أتَت هذه الدّراسة الموسومة بِـ القلب المكانيّ "أنواع وأسباب" للوقوف على ظاهرة لغويّة تركَت أثرًا أدبيًّا على تغيّر الألفاظ،شارحةً وموضِّحةً حادثة ظهورها ، مُزيلةً الغموض عن أسبابِ وقوعها .من المعروفِ أنّ إذا وقعَ القلبُ في كلمةٍ ما ،وقع القلبُ في الميزان الصّرفي أيضًا ؛أي عند حصولِ التّغيير في ترتيبِ أحرفِ الكلمة ،يحصل التغيير نفسه في الميزان الصّرفي،فإذا تقدّمَت العين على الفاءِ في الكلمة ،تقدّمت العين على الفاء في الميزان الصّرفي.ومن المعروف أنّ هذه الظّاهرة اندرجَت في جملةٍ من المواد فلو استقرأنا هذه المواد ،نقفُ على موادٍ كثيرة جرى فيها المعربون .ألا ترى أنّ "فَرَقَ" و"فَقَرَ" ،و "خَرَجَ" و"خَجَرَ" ،و"حَدَرَ"و"دَحَرَ"،و"هَدَرَ" و"دَهَرَ" ،شيءٌ من هذه الدّلالات الّتي توسّعَ فيها ،فكانَ بينها إتفاقٌ وإختلافٌ في الوقت نفسه .لقد لمَحنا هذا بجلاءٍ في الألسنِ الدّارجة المعاصرة وهو شيءٌ من خصائصها .ألا ترى أنّ أهل بعض الدّيار العربيّة يقولون "لخبطَ" في حين يقولُ غيرهم "خلبطَ" ،ومثلها "بحصَ"و"حصَبَ" في الفصيحة المشهورة،ولو أنّا استقرأنا ما اندرجَ في هذه الظّاهرةِ لوقفنا على الكثير .من هنا تكمُنُ أهميّة هذه الدّراسة.وقد اعتمدتُ في هذه الدّراسة على المنهجِ الوصفيّ التّحليليّ وهو منهجٌ حديثٌ جاءت تسميّته ردّة فعلٍ على المنهجِ التّاريخيّ التّعليليّ القديم .(١) وهو ينطلقُ من الملاحظات إلى الفرضيّات وهو مناسبٌ للبحثِ عن طبيعةِ الكلمة وميزانها الصّرفي،والكشفِ عن تغييراتها ،وفكِ طلاسمِ أساسها واستكناه العناصر الأكثر تأثيرًا وتحريكًا لصيرورتها في مسارها وتجليّاتها .كما كان للمنهج الاستقرائيّ حضوره في هذه الدّراسة والإستقراء هو ملاحظة الظّواهر وتجميع البيانات عنها للتوصل إلى مبادئ عامّة وعلاقات كليّة .(٢)وقد استفدتُ منه من خلال استقراء صورة الكلمة وما تحمله من تغيّرات ،حيثُ قمتُ بالتّعرفِ إلى الجزئيات ،ثمّ عمّمتُ النتائجَ على الكلّ.وقد اقتضَت طبيعة هذه الدّراسة تقسيمها إلى ثلاثةِ مباحث مسبوقةٌ بمقدّمة ومذيّلةٌ بخاتمة .يبدأُ المبحثُ الأوّل بلمحةٍ وجيزةٍ بالتّعرّفِ على القلب المكانيّ ،وأمّا المبحث الثّاني فقد عرضتُ فيه أنواع القلب المكانيّ وسأعالجُ في المبحثِ الثّالث وسائل تحديد القلب المكانيّ.

ثانيًا : إشكاليّة الدّراسة.يطرحُ هذا البحثُ طريقة القلب المكانيّ ،أنواعه وسائل تحديده ولذلك أتَت الإشكاليّة لتُجيبَ عن أسئلةٍ فحواها .

- ما هو القلب المكانيّ ؟ما هي أنواعه ؟ صوّره وأنماطه؟
- كيف نعرفُ أنّ في كلمةٍ ما قلبًا مكانيًّا؟
- ما هي الوسائلُ المعتمدة لتحديد جوانب هذه الظّاهرة؟

ثالثًا: فرضيّات الدّراسة.

- امتلكَ القلب المكانيّ قدرةً هائلةً على رسمِ بعض الكلمات وأثّرَ على ترتيبِ أصولها .
- جَسّدَ القلب المكانيّ صورًا متعدّدة لعدّة ألفاظ .

رابعًا :مُشكلات الدّراسة. لا يُخفى بعض الصّعوبات الّتي واجَهت الدّراسة وهي قلّة المراجع المتخصّصة في المواضيع الصّرفيّة وفي تحليلِ ظاهرة القلب المكانيّ ،والاصطدام بمشكلةِ تعدّد المصطلحات.

خامسًا: تحليل نصّ الدّراسة.

المبحث الأوّل : التّعريف بالقلبِ المكانيّ.

يعرضُ الصّرفيون لموضوعِ القلب المكانيّ بمناسبةِ عرضهم لموضوع الميزان الصّرفي.والواقع أنّه ظاهرة لغويّة واضحة في اللّغة العربيّة،ولا يصحُ إنكارها ونحنُ نلحظها مع الصّغار الّذين لا يستطيعون نُطق الألفاظِ الكثيرة الّتي يسمعونها كلّ يومٍ فيقلبون بعضَ حروفها مكان بعضها الآخر ،ونَلحظَها أيضًا في لغةِ العامّة ،وأوضَح مثال عليها كلمة (مَسْرَح) الّتي تُنطق كثيرًا (مَرْسَح) .فلو أنّنا وزنا ما بعد القلب لكان الوزن مَعْفل .(٣)فما هو القلب المكانيّ؟ القلب المكانيMetathesis .هو تغيّرٌ فونولوجيّ phonologic يؤثّر على ترتيبِ الأصوات داخل الكلمة وقد عرّفه اللّغويون والنّحاة بتعريفاتٍ متقاربة ومقاربة لما ذكرت،حيثُ ذُكِرَ أنّ القلبَ هو تقديمُ بعض الحروفِ على بعض .(٤)وقد خصّص اللّغويون أثره وهو نقلُ الأصوات داخل الكلمة.(٥)والنّقلُ يشملُ التّقديم والتّأخير ،ويُعتبرُ تغييرًا لترتيبِ صوتين في الكلمة.(٦)ومنهم من اعتبره نقلاً مكانيّاً لصامتين متجاورين لتخفيفِ النّطق.(٧)والبعضُ قدّمَ له تعريفًا واسعًا ،فذُكِرَ أنّه تعديلٌ في التّرتيبِ الطّبيعيّ لتسلسلِ العناصرِ داخل الجُملة غالبًا في الأصوات وأحيانًا في المقاطعِ أو الكلماتِ أو الوحداتِ الأخرى.(٨)فتعريفه يتّسع ليشمل التّقديم والتّأخير بين الأصوات المكوّنة لبنية الكلمة والعناصر أو الكلمات المكوّنة لبنية الجملة . وليس بوسعِ مبحثٍ صغير كهذا أن يسلّطَ الضّوء على كلّ ما يحمله مصطلح "القلب" من معانٍ سواءٌ من النّاحية اللّغويّة أو الاصطلاحيّة ،لذلك أوجزتُ ما أمكن ،وكان لا بدّ من الإشارة إلى أنّ اللّغويين يكادون يُجمِعون على أنّ مادة "قَلَبَ" لا تكادُ تخرجُ من حيث معناها الاصطلاحي عن أمرين :

الأوّلُ: التّقديم والتّأخير فيما يخصّ أصوات الكلمة المقلوبة الواحدة ،أو تقديم كلمة على أخرى إذا كان القلب بين الكلمات أو تقديم معنى على آخر إذا كان القلب بين المعاني .وأمّا الأمر الثّاني فهو تغيير الحكم إذ أنّ المعنى الاصطلاحي لهذه المادة يختلفُ باختلاف العلم الّذي يبحثه ،فمعناهُ اللّغوي أو النّحوي غير معناه الشّرعي (٩).وما يعنيني في هذه الدّراسة هو القلب المتحقّق بين أحرفِ الكلمة الواحدة .وقِياسًا على ما سبق نستطيعُ تعريف هذه الظّاهرة بأنّها: إحدى الطّرائقِ الّتي تسلكها العربيّة للتغلّبِ على التّنافر الصّوتيّ الّذي يُحدثُه تتابُع بعض الأصوات في الكلمةِ العربيّة ،وبخاصّةً تتابع أصوات المدّ وأنصاف المدّ والهمو غالبًا .وهو جانبٌ مهمٌ ولكن ايس وحيدًا إذ ربّما خضَعت عمليّة القلب المكانيّ للصور الذّهنيّة المتعلّقة بتصوير الكلمة في الدّماغ ،إذ يُمكن أن تغيّرَ في الصّورة الذّهنيّة للكلمة ،فتخرجُ على صورةٍ أخرى ،فيُعتبر أنّ حرف من حروف الكلمة يُقدّم وآخر يؤخّر مكانه وعلّته أنّ تغيّر ترتيب الحركات في التّصوّرات أسهل من تغيّرها الموجب للتخالف.تمامًا كما يحصلُ في الآلة الكاتبة ،إذ ما أُريد كتابة جميع الحروف اللّازمة ،ولكن على ترتيبٍ غير ترتيبها عند السهو أو عدم التّيقظ.(١٠)والحقيقة أنّ العلةَ الذّهنيّة وحدها غير كافية لتفسير جميع مظاهر القلب المكانيّ ،لأنّنا نجدُ من هذه المظاهر تفسيرًا لتصوّرات تتعلّقُ بفيزيائيّة أخطاء السّمع أو صعوبة النّطق (فيزيائيًا)،وهي عمليّة متابدلة .إذ إنّ السّامع حزءًا مهمًّا من العمليّة اللّغويّة ،مسؤولٌ عن إعادة ترتيبِ أجزاء الكلمة نتيجةً لعمليّاتٍ فيزيائيّةٍ بعيدة عن التصّرات الذّهنيّة ،كما أنّ المتكلّم من النّاحية الفيزيائيّة ،قد يكونُ طرفًا في إجراءِ هذه التّغيّرات بصورةٍ تلقائيّة ،ليست التّصوّرات الذّهنيّة سببًا فيها ،بل إنّ السّببَ هنا يكمنُ في النّمط اللّغوي،وقد إشتركَ في هذه العمليّة الأطراف المختلفة للعمليّة اللّغويّة (المتكلّم– السّامع–الاستعمال المنطوق فِعلًا) وربّما إشراك البيئة الفيزيائيّة السّائدة في لحظةٍ ما (كالهواء وهو الوسطُ الفيزيائيّ للصوت ،والمحيط الطّبيعيّ بعناصرِه المختلفة)ومن ثمّ يجري ما يُمكن أن نُسميه النّمط الجديد .(١١)

لقد تصدّرَت تعريفات القلب المكانيّ مصنّفات التّراث القديم ،وكذلك لم تخلُ بحوثَ المحدثين أيضًا من التّعرض للتّعرف على هذا المصطلح .لذلك عرضتُ في هذا المبحث تعريفاتٍ متنوّعة للقلب المكانيّ وإرتأيتُ أنّها تستحقُّ من الباحثِ أن يخصّها بشيءٍ من جهده العلميّ.

المبحث الثاني: أنواع القلب المكانيّ .

بعض الأحيان نرى أنّ كلمة من كلمات اللّغة العربيّة حصلَ في حروفها الأصليّة تبادل موضعيّ أي نُقلَت الفاء مكان العين ،فأصبحت العين في أوّل الكلمة والفاء تاليةً لها ،وذلك في بعضِ التّصاريف مثال ذلك كلمة (بِئر) وزنها فِعْل ،عندما تُجمع جمع تكسير تقول العرب (آبار)،وقياس تكسير المفردات الّتي على وزن فِعْل (حِمل ،سِفر) تأتي على وزن أفعال فتقول (أحمال وأسفار) .أي نزيد همزة في أوّل الكلمة وألِفًا قبل آخرِها ،فيُصبح الوزن في الجمع أفعال.

فإذا طَبّقنا هذا حرفيًّا في كلمة (بِئر) مع تجاهلنا نُطق العرب لجمعِها المكسّر،فنرى أنّ حروفَها هي (ب ء ر) وتطبيق ميزان الجمع يجبُ أن تكون (أ ب ء ا ر) بوزن أفعال .ولكن حصلَ تغيير فنُقِلَت عين الكلمة الّتي هي الهمزة مكان الفاء الّتي هي اللام فأصبحَت (أ ء ب ا ر) أي حصلَ فيها قلبٌ مكانيّ .وعلى حسبِ قواعِد الإبدالِ والإعلالِ عندما تتجاورُ همزتان في أوّل الكلمة تُصبح الثّانيّة حرف مدّ من جنسِ حركةِ الأولى –فإنّنا نمدّ الهمزة ،فنقولُ (آبار) بوزنِ (أعفال) ،ونظيرُ بِئر وآبار ،رئم وأرام .(١٢)وقِياسًا على ذلك سأدرسُ في هذا المبحث أنواع وأنماط

القلب المكانيّ الّذي يلحقُ حرفيًّا بالمفردات وأقدّمُ بعض الكلمات الّتي دخلَها القلب المكانيّ،شارحةً الأسباب وراء ذلك.يأتي القلب المكانيّ على نوعين.

١- القلب المكانيّ القياسيّ: يقعُ القلب المكانيّ بصورةٍ قياسيّةٍ،بناءً على تخليقِ الكلماتِ الّتي تُبنى بناءً من عمليّة التقاء همزتين متتابعتين في نهايةِ الكلمة.تخضعُ إجباريًّا لعمليّة قلب مكانيّ قياسيّ لمنعِ تتابعِ همزتين على نحوٍ لا تقبله العربيّة .(١٣)وعلى ذلك يمكنّنا تحليل بعض المواطن الّتي يقعُ فيها القلب المكانيّ القياسيّ على النّحو الآتي:

- إشتقاق اسم الفاعل من الفعل الثّلاثي الأجوف المهموز اللام حيث يأتي على زنة "فالِع " لا "فاعِل"،فالفعل "جاء" ألفه وهي عين الكلمة منقلبة عن "ياء" ،فأصله "جَيَأَ" فلمّا تحرّكت الياء وانفتَح ما قبلها قُلبت "ألفًا" وهذه قاعدة صرفيّة مقرّرة.(١٤)والأصل "مجيئ" اسم الفاعل من الفعل الثّلاثيّ على صيغةِ "فاعِل" ومن ثمّ فهو "جايئٌ" الّتي تخضعُ بدورها للإعلال بناءً على القاعدةِ الصّرفيّة الّتي تُقرّرُ أنّ الواو أو الياء إذا وقعتا عينًا لاسم الفاعل وسُبقتا بألف قُلبتا همزة .(١٥)ولذا تتحوّلُ "جايء ٌ" للحيلولةِ دون إلتقاء الهمزات على نحوٍ غير مقبولٍ .وبناءً على ذلك يقعُ القلبُ بين الياءِ والهمزة فتتحوّلُ "جايءٌ" وزِنتها "فاعل" إلى "جاءيٌ" على زِنة "فالعٌ" بعد وقوع القلب المكانيّ ،تُستثقلُ الضّمة على الياء ،فتُحذفُ تخفيفًا وعندئذٍ يلتقي ساكنان وهما الياء والتنوين الّذي يليها ،فتُحذفُ الياء نطقًا وكتابةً وتتحوّل "جاءيٌ" إلى "جاءٍ" على زِنة "فالٍ" .وبناءً على ذلك نلاحظُ إنّ إشتقاق اسم الفاعل من الثّلاثيّ الأجوف المهموز تحكُمه عمليّة قلب مكانيّ بين عين الكلمةِ ولامها .وتقعُ هذه التّغيّرات بصورةٍ قياسيّةٍ .وعليه فاسم الفاعل من شاء "شاءٍ" ،ومن باءَ "باءٍ" ،ومن فاءَ "فاءٍ" ،ومن قاءَ "قاءٍ" ،ومن هاعَ "هاعٍ" ،ومن لاعَ "لاعٍ" .وكلّ هذه الألفاظ على وزن "فالٍ".

- وزن "فعيلة" مهموزة اللّام ،فمثلًا كلمة خطيئة على زِنة "فعيلة" وجمعها على "فعائل" هو "خطايء" عندئذٍ تُقلبُ الياء همزة ممّا يؤدي إلى وقوعِ المحظور وهو"خطاءء" ولذا تخضعُ "خطايء" للقلب المكانيّ على مذهب الخليل لمنعِ تولّد "خطاءء"على زنة "فعائل" ،ونتيجةً للقلب المكانيّ بين بين ياء الصّيغة ولام الكلمة تتحوّلُ "خطائء" إلى "خطائي" على زنة "فعالي" ،وعندئذٍ تخضعُ الكلمة لتغييرٍ آخر يؤدي إلى حذفِ كسرةِ الهمزة واستبدالها بالفتخة رغبةً في التّخفيفِ .(١٦)فتتحوّلُ الكلمة إلى " خطاءَ ي" ومن ثمّ تُقلبُ الياء ألفًا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها فتصبح"خطاءا"،وعندئذٍ تُقلبُ الهمزة ياءً لمنعِ ثقل النّاشئ عن توالي شِبه ثلاث ألفاتٍ في الكلمة ،لأنّ الهمزة شبيهةٌ بالألف فيُصبح الجمع "خطايا" على زِنة "فعالي" .

٢- القلب المكانيّ الإعتباطيّ : وهو الّذي لا يتوافقُ مع القلب المكانيّ القياسيّ المعروض آنِفًا،ويعدّ إعتباطيًّا لأنّه لا يقعُ إلّا على نحوٍ إعتباطيّ وليس قياسيّ.ويقعُ هذا القلب نتيجة أسبابٍ أهمّها:

أ- الإختلافاتُ اللّهجيّة: تتعدّدُ اللّهجات العربيّة وقد تؤدي القوانين الصّوتيّة للهجةٍ ما إلى وقوع قلب مكانيّ في بنية بعض الكلمات ،فعلى سبيل المثال تَستعملُ بعض القبائل العربيّة الفعل "يئِسَ" بتقديم الياء على الهمزة ،وهو التّرتيب الأصليّ للفعل ،حيث يجري المصدر والمشتقات على نفس التّرتيب ،بينما تستعملُه بعض القبائل الأخرى "أيِسَ" بتصدير الهمزة وتقديمها على الياء ،وعليه فقد تعرّضَ الفعل عندهم لقلب مكانيّ بين فاء الفعل وعينه لاعتبارات لهجيّة ،وتؤكّدُ الدّراسات التّقابليّة وقوع هذا النّمط من القلب المكانيّ النّاجم عن أسبابٍ لهجيّةٍ في غير العربيّة أيضًا ،فكلمة pretty في الإنجليزيّة تُنطق في لهجةِ رُعاة البقر الأمريكيّين .purty(١٧)

ب-أخطاء النّطق: يميلُ بعض الدّارسين إلى أنّ ظاهرة القلب المكانيّ ناجمةٌ عن وقوعِ أخطاءٍ في نطقِ بعض الكلمات على ألسنةِ بعض أبناءِ اللّغة ،ثمّ استُملحت هذه الأخطاء واُستعمِلت لفترةٍ طويلة حتّى اكتسبَت مشروعيّةً في الاستخدام ،وارتقَت إلى منزلةِ الكلمات الصحيحة الفصيحة بسبب كثرةِ الاستعمال.(١٨)ولكنّ هذا التّفسير رغم منطقيّته يبدو ضعيفًا من وِجهة نظر الكثيرين من نحاةِ العربيّة الّذين يعتقدون على نحوٍ جازم أنّ أخطاء الكبار لم تُترك في البيئة العربيّة دون تصحيح إمّا بواسطة المستمعين للخطأ أو الدّارسين المهتمّين بأمر العربيّة ،وكانوا يعدّون اللّحن أمّارة جهلٍ وجرمٍ يُزري بصاحبه لأنّه من المحرّمات اللّغويّة الّذي يشوّهُ ألفاظ اللّغة .وقد أولعَ النّحاة واللّغويون القدماء بتقنيّةِ اللّغة وتصويبِ أخطائها وتقويم اعوجاجها والتّنويه إلى كلّ غريبٍ ودخيل ،محرّف ومصحّف يؤدي إلى اللّحن فأُلِفَت العديد من الكتب للوقوفِ على ظاهرةِ اللّحن وحفظ لغة التّراث وبرغم جهود جهابذةِ اللّغة العربيّة كِبارها لا يُمكنُ إنكار وقوعِ القلبِ المكانيّ في لغةِ الكبار بسبب أخطاء في النّطقِ يُعكّرُ عليه أمران:أحدهما:أنّ تصحيحَ المستمعين مسألةً إحتماليّةً وليست أمرًا مؤكّدًا والثّاني أنّ تصحيحات النّحاة واللّغويين قد لا يلتزمُ بها أبناء اللّغة في كثيرٍ من الأحيان ،ويُضاف إلى ذلك أنّ القلبَ المكانيّ يقعُ بصورةٍ لافتة في لغةِ الأطفال وكذلك على ألسنةِ الكبار عند تعلّمهم للغاتٍ أجنبيّة ويُحتملُ أنّ مثلَ هذه الأخطاء قد تُستساغُ وتدوّنُ فتدورُ على الألسنةِ ويكثرُ استعمالها.وذهبَ بعض النّحاةِ

العرب إلى القولِ بأنّ جميعِ الكلماتِ الّتي يدّعى وقوعِ القلب المكانيّ فيها هي كلماتٌ أصليّة فصيحة مستقلّة وليست نتيجة قلبٍ أو تغيير بسبب أخطاءِ النّطق أو غير ذلك .فمثال كلمة "أيس" لم أعثرُ على مصدرٍ أو مشتّقاتٍ تجري على نفسِ ترتيبها وبالرغم من العودة إلى المعاجم القديمة لم ألحظُ إلا على مادة "آسَ". وبما أنّ الفعل بقيَ على أصله "أيسَ" فهذا دليلٌ على أنّ هذه الياء ليست مكانها هنا وإنّما في مكانٍ آخر ،فإذا عُدنا إلى المصدرِ وهو "اليأس" عرفنا أنّ هذا الفعل مقلوبٌ عن "يئسَ" وإذن فإنّ وزن "أَيَسَ" هو عَفَلَ.(١٩)

ج–إلتجاء النحويين إلى الاحتجاج للقراءات : تُطالعنا بعض القراءات القرآنيّة المحمولة على القلب ،ومن هذه القراءات :(ولا تايَسوا من روح الله...) ،تايسوا مقلوبٌ من(تيأسوا) فقُدّمت الهمزة عين الكلمة على الفاء ،فصارت :تأيسوا ،ثمّ خُفّفت بقلبها ألفًا وقراءةً (هو الّذي جعلَ الشمس ضئاءً...) بهمزتين على القلب المكانيّ فقدّمت الهمزة لام الكلمة على العين فصارت(ضئاي) فلما وقعت الياء طرفًا بعد ألفٍ زائدةٍ قُلِبت همزةً عند قومٍ ،أو ألفًا عند آخرين ،ثمّ قُلِبت الهمزة ألفًا لئلّا يجتمعُ ألفان .وقراءة (ويجعلون أصابعهم في آذانهم من الصّواقع) ،فقد قُلبت الصّواقع بدل الصّواعق .(٢٠)مع أنّ هاتين اللّفظتين بناءان سواءٌ في التّصرف.ولكن إختلفَت اللّغات.

د– التّغيّرات التّاريخيّة: التّغيّرات التّاريخيّة تبدو تفسيرًا مقبولًا لوقوعِ القلب المكانيّ ،حيث تتعرّضُ" بنية "بعض الكلمات خلال الفترة الزّمنيّة الطّويلة لبعض التّغيّرات القياسيّة أو غير القياسيّة وهناك اتجاهٌ يؤكّدُ أنّ البُعد الجغرافيّ بين أبناءِ اللّغة الواحدة يؤدي إلى تغيّرات في النُطق وطريقته ،من هنا تظهرُ اللّهجات واللّغات المختلفة ،يؤكّدُ ذلك أنّ اللّغة اللّاتينيّة تَولّدَ منها عبر الزّمن والاتّساع الجغرافيّ عدّة لغات كالإسبانيّة والرّومانيّة والإيطاليّة والفرنسيّة .(٢١)إنّ وجودَ العديد من التشابهات بين أفرادِ الأسرة اللّغويّة الواحدة كالتّشابه الملحوظِ بينَ العربيّة والعبريّة يؤكّدُ أنّ التّغيّرات التّاريخيّة الّتي طَرَأت على اللّغة الأمّ قد أحدثَت تغيّرات صوتيّة عديدة مثل المماثلة وعدم المماثلة والحذف والدّمج والانقسام والقلب المكانيّ وغير ذلك.

هـ– الضّرورة الشّعريّة والاتّساع :فالمقلوب على الشّعر قسمين،قسمٌ قُلبَ للضرورة وقسمٌ قُلب من غير ضرورةٍ تدعو إليه،لكنّه لم يُطرد عليه فيقاس...ولا يُمكننا استيعاب ما جاء في ذلك لاتّساعه.و من أنواع القلب المكاني هو القلب المكاني في الجملة و ما يدور في مثل هذا النمط هو القلب المكاني في الجملة في الكلام المنثور: لم يرد هذا القلب مقيساً في الكلام المنثور . إلّا أن ذلك لم يكثر في الكلام كثرته في الشعر. فلم يجز لذلك القياس عليه.و لعل ما في الكلام العرب من شواهد يمكن حملها على هذه الظاهرة تعزّز كونها معتية. ففي الكلام قولهم: أدخل فوهُ الحجر، أي أدخل الحجر في فيه. و قولهم:"إنّ العصا من العصيّة". و قولهم "أدخلت الخاتم في إصبعي".أي أدخلت إصبعي في الخاتم. و قولهم "و حسرت كفّي عن السِربال" أي "و حسرت السّربال عن كفي". و قولهم "إذا طلعت الجوزاء انتصب العود في الحرباء". أي "انتصب الحرباء في العودِ". و قولهم عرضتُ النّاقة على الحوضِ" أيّ " عرضت الحوض (الماء) على النّاقة. و قولهم :" ادخات القلنسوة في رأسي" أي :" أدخلت رأسي في القلنسوة و ممّا يمكن عدّه من هذا الباب أيضاً :" خرق الثوب المسمار" "كسر الزّجاج الحجر" و قول بعض العامة : رأيت بعين أمي. أيّ: رأيت بام عيني. و أيضاً" حكّني جسدي" في "حككت جسدي". و يكثر وقوع القلب الإعرابي عند النجاة في المشاركة في الفعل كالمفاعلة نحو : نلتُ، و أصبت، و تلقّيت، بلغت، قيقال :نالني خير و نلت خيراً و أصابني الشيء، و أصبت الشيء ، و تلقّاني زيدٌ و تلقّيت زيداً و غير ذلك من الأفعال التي لا تتمّ إلّا بطرفين.إذن فالقلب المكاني في الجملة من مسائل التقديم و التأخير، فالقول فيه كالقول في التقديم و التأخير من حيث تباينُ مواقف النحويين و غيرهم من حيث الإجازة و المنع. فمنهم المجوّز و منهم الداعي إلى تنزيه ذلك. و قد أفرِدَت أبواب عديدة في كتب التراث لهذه الظاهرة فمنهم من أسماه (إبدال الحكم من الحكم) و إما إبدال الحكم من الحكم فمنه : قلب الإعراب أو غيره من الأحكام، لأن اللفظ إذا قلب أعطِي بذلَه حكم غيره... و ممّا عدّه إبدال الحكم من الحكم :قلب الإعراب، تأنيث المذكّر، تذكير المؤنث، العطف على التوهّم معاملة غير المبتدأ معاملة المبتدأ، تأكيد الاسم المخفوض بالإضافة باسم مخفوض بمن، انتصاب المضارع بعد الفاء في غير الأجوبة الثمانية، انتصاب المضارع بعد "أو" العاطفة.... و أفرد السيوطي أبواباً جُمِع فيها تلك الألفاظ المفردة المقلوبة التي وصلت إليها يده.(٢٢) لقد حاولتُ في هذا المبحث عرض أنواع القلب المكانيّ وأشرتُ إلى الأسبابِ الّتي أدّت إلى حصولِ هذه الأنواع.

المبحث الثالث: وسائلُ تحديد القلب المكانيّ.

بعد أن عرضنا القلب المكانيّ وقدّمنا أنواعه وأنماطه،سأدرسُ في هذا المبحث وسائل تحديده ،فكيف نعرفُ أنّ في كلمةٍ ما قلبًا مكانيًّا؟يقول الصرفيون إن هناك طرائق يمكننا اتباعها لمعرفة القلب المكاني ، وهذه الطرائق هي :

١– الرجوع الى المصدر ، فمثلاً الفعل : نَاءَ "يَنَاء" حدث فيه قلب لأنَّ مصدره : نَأي ، وعلى هذه يكون وزنه "فَلَعَ "

٢- الرجوع الى الكلمات التي اشتقت من نفس مادة الكلمة ، فمثلاً كلمة : "جاء "فيها قلب مكاني ، وذلك لورود كلمات مثل : "وجه ، وجاهه ، وجهة" .وإذن فكلمة : "جاء" وزنها :" عَفْل" .ومن أشهر أمثلتهم في ذلك كلمة قِسِيّ : ما وزنها ؟ ...المفرد هو : قَوْس = "فَعْل" الجمع هو : قُوُوس = "فُعُول" قدّمت اللام مكان العين لتصير : قُسُوو "فلوع" . قلبت الواو الأخيرة ياء تبعاً لقواعد الإعلال لتصير :

"قُسُوى ".قُلبت الواو الأولى ياء تبعاً لقواعد الإعلال وأُدغمت في الثانية لتصير : قُسُيّ .قلبت ضمة السين كسرة لتناسب الياء لتصير : "قُسِيّ ".قلبت ضمة القاف كسرة لعسر الانتقال من ضم الى كسر لتصير : "قِسِيّ ".وإذن فإن كلمة " قسي " مقلوبة عن " قووس",وإذن فأنّ وزن كلِمة قِسيّ "فلوع".

٣- أن يكون في الكلمة حرف علة يستحق الإعلال تبعاً للقواعد التي سنعرفها ، ومع ذلك يبقى هذا الحرف صحيحاً أي دون إعلال ، فيكون ذلك دليلاً على حدوث قلب في الكلمة . فمثلاً الفعل : "أيِسَ "، فيه حرف علة هو الياء ، وهو متحرّك بكسرة وقبله فتحة ، وحرف العلة اذا تحرك وانفتح ما قبله قلب ألفاً ؛ وعلى ذلك كان ينبغي أن يكون الفعل هكذا : "آس" .أمّا وقد بقي على : "أَيِس" ، فهذا دليل على أن هذه الياء ليس مكانها وإنّما في مكانٍ آخر ,فإذا عدنا إلى المصدر وهو اليأس ,عرفنا أنّ هذا الفعل مقلقب عن "يئسَ" .

٤-أن يترتّبُ على عدم القلب وجود همزتين في الطّرف .وهذا يحتاجُ إلى بيان فالفعل الأجوف تُقلب عينه همزة في اسم الفاعل .أي يقلب حرف العلة همزةً تبعًا لقواعد الإعلال مثال :باع "بائع" ,سار "سائر".إنّاجتماع الهمزتين في نهاية الكلمة ثقيلٌ على العربيّة .لذلك قال الصّرفيّون غنّ الكلمةَ حدثَ فيها قلبٌ مكانيّ .

٥-أن تجدَ أنّ كلمةً ما ممنوعة من الصّرف من دونِ سببٍ ظاهر .وأشهر أمثلَتهم على ذلك كلمة "أشياء".ومن المعروف أيضًا أنّ وزن "أفعال" ليس ممنوعًا من الصّرف بدليل كلمة "أسماء" الّتي تُشبه كلمة "أشياء" ,فأنت تقول :أسماءٌ- أسماءً –بأسماءٍ.إذن ما السّبب في منعِ كلمة "أشياء" من الصّرف؟يقول الصّرفيون إنّ هذه الكلمة ليست على وزن "أفعال"وإنّما هي على وزن آخر من الأوزان الّتي تُمنع من الصّرف ووذلك لأنّ مفردها هو :شيءٌوأنذ اسم المع منها هو شيئاء ,على وزن فعلاء .وألف التأنيث الممدودة تمنع من الصّرف... ويكون القلب على الوجه التّالي .

شيئاء= فعلاء

أشياء= لفعاء.

وعلى هذا نستطيعُ أن نفهمَ السّبب في منعِ كلمة "أشياء " من الصّرف.(٢٣)

ويقعُ القلب المكانيّ بين عين الكلمة ولامها وهوأكثر أنواع القلب المكانيّ وقوعًا،كما يتّضحُ من صوّره ومن أمثلته كلمة "ناءَ" وأصلها "نأي" ،فلمّا تحرّكت الياء وفُتح ما قبلها قُلبت ألفًا ،ثمّ تعرّض هذا الأصل للقلب المكانيّ الّذي أدى إلى تغيّر التّرتيب بإحداث تبادل موقعيّ بين الهمزة والياء ومن ثمّ تحوّلت "نأى" وزنها"فعل" إلى ناءَ على زنة "فلع".وبذلك وقعَ القلب المكانيّ بين حرفين متجاورين. وكلمة "قسيّ" جمع "قوس" فالتّرتيب الخطيّ لأصولها هو "ق و س" يؤكّد ذلك أنّ العنقود المعجميّ للكلمات المرتبطة بها مثل قوّسَ وتقوّسَ "مُقوّس" وقوسان وأقواس تجري أصول كلماته على نفس التّرتيب الخطيّ ،وعليه فقد وقعّت السين وهي لام الكلمة،ممّا يؤكّد خضوع هذه الكلمة للقلب المكانيّ وأصلها "قووس" على زنة "فعول" .فلمّا تعرّضت للقلب حدثَ تبادل موقعيّ بين اللّام (السين) والعين (الواو) ،فتحوّلت إلى قسوو على زنة "فالوع" ولمّا تطرّفت الواو قُلبت ياء (٢٤)فصارت "قسوي"فالتقت الواو والياء وسكنت أولاهما عندئذٍ تقلب الواو ياءً(٢٥) وتُكسر السين لمجانسة حركة الياء ،وتُكسر السين لمجانسة حركة الياء ،وتُكسر القاف للتخلّص من ثقل الضّم قبل الكسر ،فتُصبح كلمة "قسيي" ثمّ تدغم الياء الأولى في الثّانية فتتحوّل إلى "قسي" على زِنة "فلوع" وعليه فقد وقعَ التّبادل الموقعيّ بين صوتين غير متجاورين وفصَلَ بينهما حرفٌ زائد.وقد تنتقلُ العين واللام من دون تبادل موقعيّ بينهما ويتّضحُ ذلك من خلال صورة" فاعل" التي تُقلب "فالع" ،في هذه الصّورة لا يقعُ تبادل موقعيّ بين الخرفين المتأثرين بالقلب ، فينقلبُ الحرفان من موقعيهما إلى موقعين آخرين، فتنتقل الفاء مثال إلى موضع الالم، والعين إلى موقع الفاء، كما في كلمة واحد ، و حادي من حادي عشر ونحوه،حيث يشير معناها إلى أن أصلها "واحد" على زنة "فاعل" وهو الترتيب الخطي لألصول بدليل ثباته في: واحد و و حد وتوحيد و وحدانية ومتوحد و وحيد وغير ذلك، فلما تعرض ألصل واحد وزنته فاعل للقلب المكاني تحول إلى "حادو"على زنة "عالف" ثم قلبت الواو المتطرفة ياء فصارت "حادي" .مهما يكن من أمر فإنّ "القلب المكانيّ " ليس منكورًا باعتباره ظاهرةً لغويّة ,ولكنّه يحتاجُ إلى دراسة منهجيّة صرفيّة غير تلك الّتي تعرضه بها كتب الصّرف العربيّة.

خاتمة.

لقد توصلتُ في نهاية هذه الدّراسة غلى مجموعةٍ من النّتائج وهي :

١-إنّ القلبَ المكانيّ تغييرٌ فونولوجيّ يؤدي إلى تغيير ترتيب الأصوات داخل الكلمة الواحدة .وهو ظاهرةٌ عامّة يمكن رصدها في معظم اللّغات البشريّة ,فهو موجودٌ في كلّ اللّغات السّاميّة,وفي مجموعة اللّغات الأوروبيّة.

٢-استقرأتُ أنّ القلب المكانيّ يُمكن تصنيفه في العربيّة إلى نمطين :قلب مكانيّ قياسيّ وبخر إعتباطيّ .

٣-يخضعُ القلب المكانيّ القياسيّ إلى فرضيّةٍ تحكمه بصحتها واطرادها كاشتقاق اسم الفاعل من الفعل الثّلاثيّ المهموز اللام على زنة "فالع" ,وجمع "فعيلة" .

٤-القلب المكانيّ الاعتباطيّ هو الأكثر وقوعًا .

٥-يقع القلب المكانيّ لعدّة أسباب: الاختلافات اللّهجيّة ,أخطاء النّطق,التّغيّرات التّاريخيّة .

٦-يمكن تشخيص القلب المكانيّ في بنيّة الكلمات العربيّة بواسطة عدّة وسائل أهمّها : تحديد أصول الكلمة , مخالفة القوانين الصّرفيّة وتتابع همزتين في نهاية الكلمة .

الهوامش

(١) أميل يعقوب :كيف تكتب بحثًا أو منهجيّة البحث ,جروس برس,لاط,لات,ص:١١.

(٢) محمّد سرحان علي المحمودي:مناهج البحث العلميّ,دار الكتب,الجمهوريّة اليمنيّة,صنعاء,ط٣, ٢٠١٩م,ص:٧٣.

(٣) عبده الرّاجحي:التّطبيق الصّرفي,دار النّهضة العربيّة,بيروت,ط١, ١٩٨٤م ,ص:١٤ .

(٤) رضي الدّين محمّد بن الحسن :شرح شّافيّة ابن الحاجب,تحقيق محمّد الحسن وآخرين,دار الكتب العلميّة ,بيروت,١٩٧٥م ,ص:٢١.

(٥) Edward Lipinski: emetic language-outline of a comparative grammar,p:192 belgiumpaetrs publishers

(٦) Richards,J.and Schmidt.R:Longnan dictionary of language teaching applied linguistics 3rd edition ,p:329.

(٧) Pratico,garyand van plet ,Miles:basics off biblical Hebrew grammar,2nd edition ,p:390 michigah.Zondervan.

(٨) Moscati,Sabatino and others :An introduction to comparative grammar of the semitic language :phonology and morphology 3rd edition ,p63 Germany,otto Harra ssowitz .and also see lipinski (1997):semitic language outline of a comparative grammar,p;192.

(٩) عبد الفتاح الهموز :ظاهرة القلب المكانيّ في العربيّة ,علّلهاوأدلّتها وتفسيراتها وأنواعها ,دار عمّان,١٩٨٦م ,ص: ١١-١٣.

(١٠) برجشتسراسر : التّطوّر النّحويّ للغة العربيّة ,ترجمة رمضان عبدالتّواب , ,مكتبة الخانجي, دار الرّفاعي, القاهرة, ١٩٨٢م, ص:٣٥.

(١١) يحيى القاسم عبابنة: دراسات في فقه اللّغة والفونولوجيا العربيّة,دار الشّروق,عمّان,٢٠٠٠م,ص:١٤٥.

(١٢) عبدالله درويش: دراسات في علم الصّرف,مكتبة الطّالب الجامعيّ, مكة المكرّمة,العزيزيّة,ط٣, ١٩٨٧م ,ص:٢٧.

(١٣) رضي الدّين محمّد بن الحسن : شرح شافيّة ابن الحاجب ,تحقيق محمّد الحسن وآخرين ,دار الكتب العلميّة,بيروت,١٩٧٥م ,ج١,ص:٢٤.

(١٤) سيبويه :الكتاب ,تحقيق عبدالسّلام هارون ,الهيئة المصريّة للكتاب ,القاهرة, ١٩٧٩م , ج٤, ص:٢٣٨.

(١٥) سيبويه :الكتاب ,ج٤,ص:٣٤٨.

(١٦) الأشموني: شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك ,تحقيق طه عبدالرؤوف سعد, المكتبة التّوقيفيّة ,القاهرة,ج٤,ص:٤٠٨.

(١٧) George Yule :the study of language p:188 3rd edition .Cambridge University press.

(١٨) Richards ,J .and Shmidit, R:Longmon dictionary of language teaching ,applied linguistics,p:329.

(١٩) عبده الرّاجحي : التّطبيق الصّرفي ,ص:١٦.

(٢٠) عبد الفتاح الهموز :ظاهرة القلب المكاني في العربيّة,مؤسسة الرّمال,دار عمار,ط١, ١٩٦٨م ,ص:٦٩.

(٢١) McMahon ,April:An Introduction to English phonology,p:5,Edinburgh University press.

(٢٢) عبدالفتاح الهموز: ظاهرة القلب المكانيّ،ص:١٧٢.

(٢٣) عبده الرّاجحي :التّطبيق الصّرفي ,ص:١٧-١٨.

(٢٤) الحملاوي:شذا العرف في فن الصّرف ، لا ط، ١٩٧٥م،ص:٢٢.

(٢٥) الحملاوي: شذا العرف في فنّ الصّرف ،ص:١٤٣.